

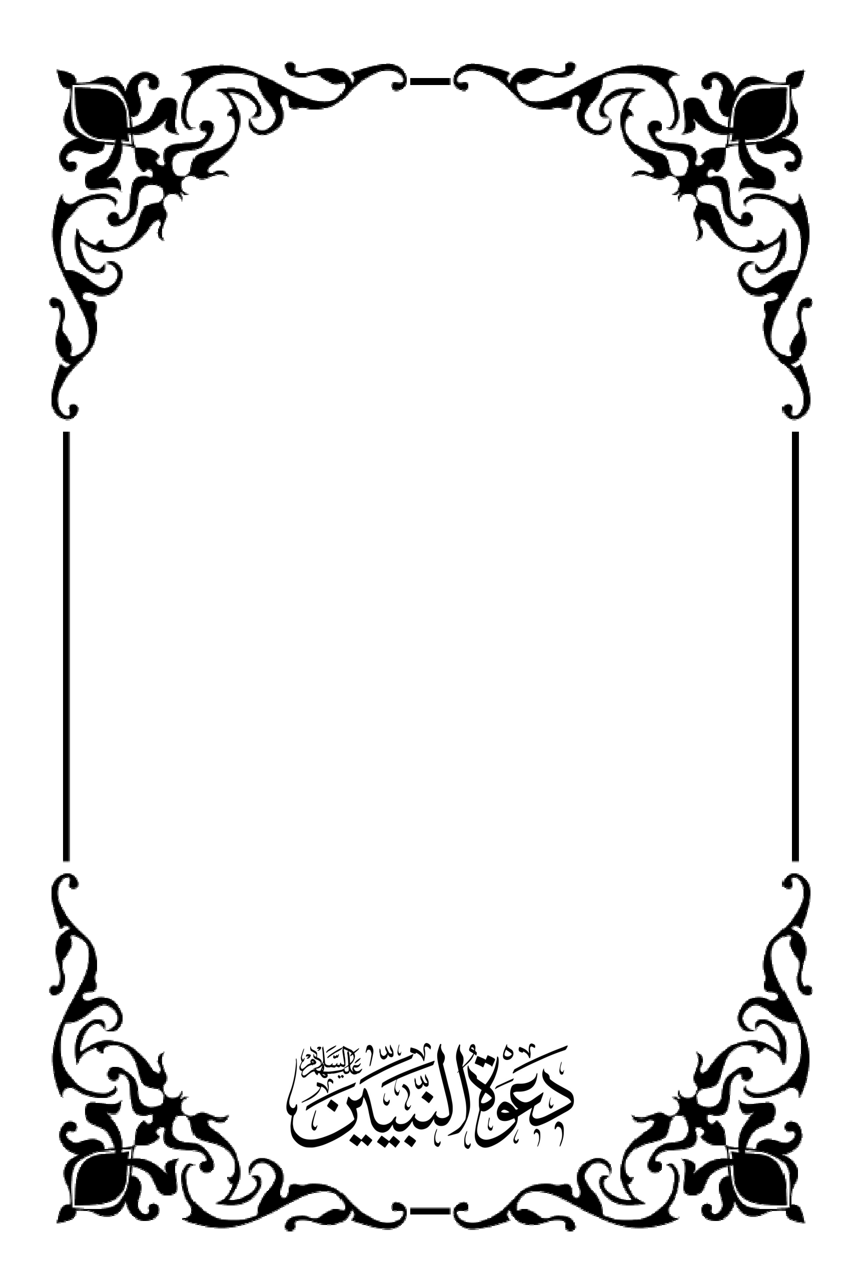


للشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري







دعوة النبيين عليهم السلام



رقم الإيداع: ٥٣٦٧ / ٢٠١٥

ردمك : ISBN: ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-١٠-٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

٢٠ شارع أحمد حسينة بجوار مسجد السنة - باب الوادي - الجزائر

جوال: ٠٥٥٦٩٦٥٨١٠ / ٠٥٥٧٦٤٨٥٥٥

dar.alfurquan@gmail.com

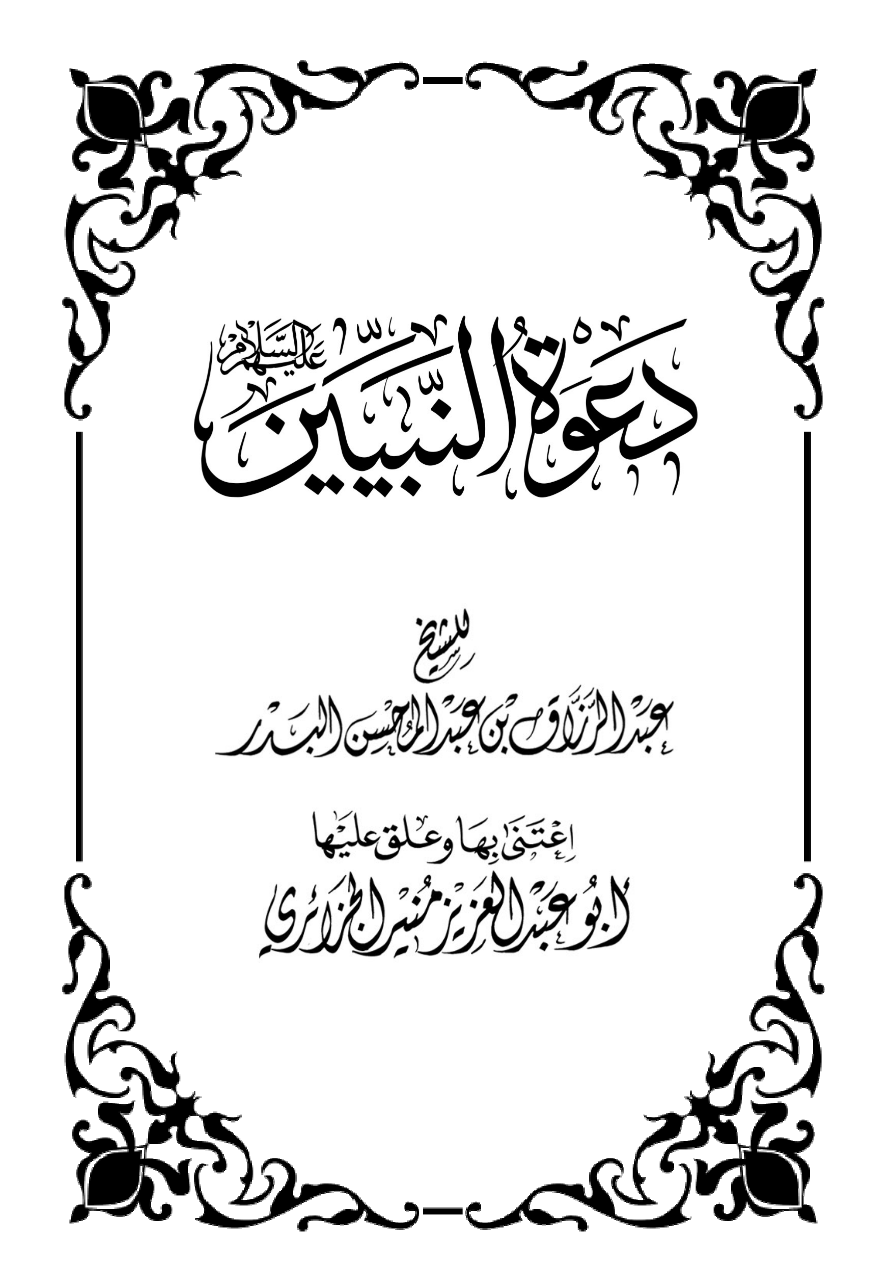
مكتبة وتسجيلات الغرباء الأثرية

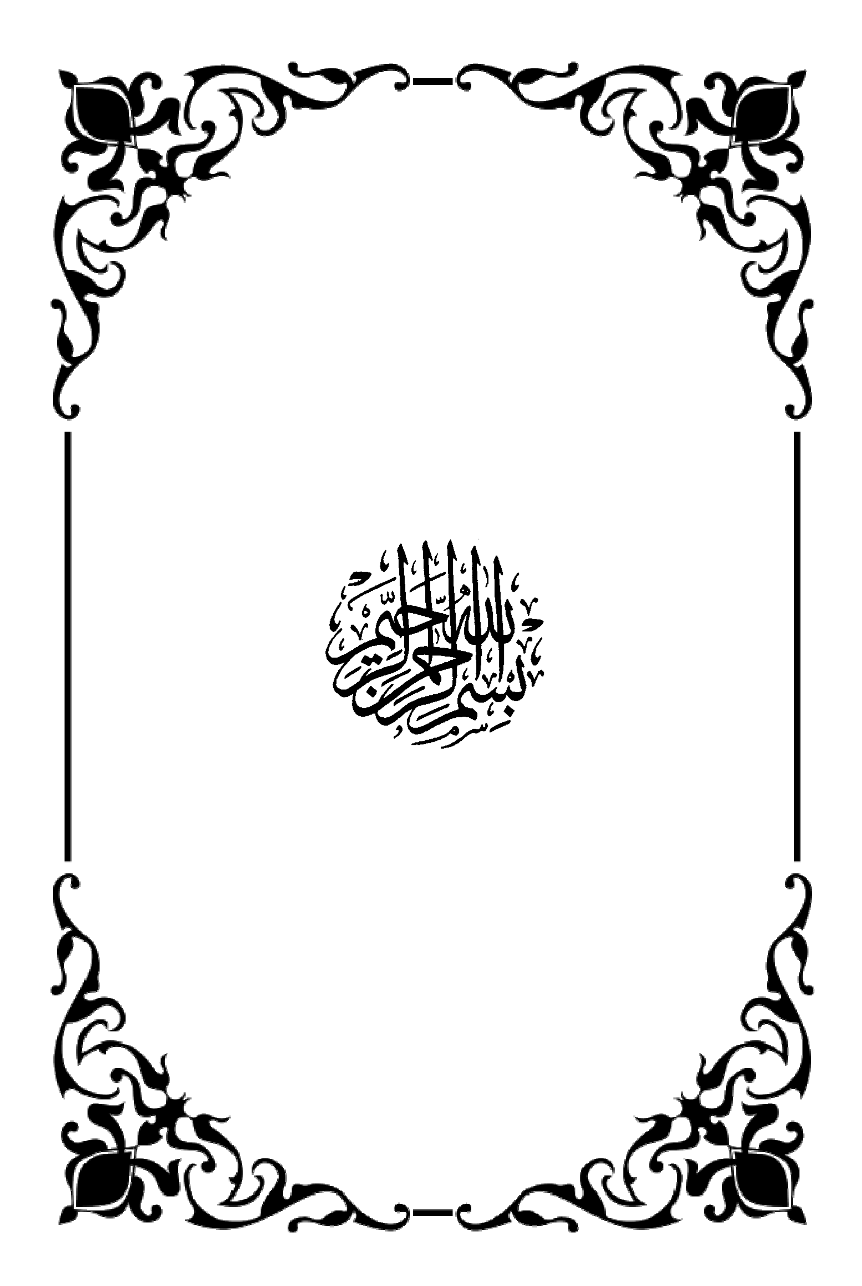
١٨ شارع أحمد حسينة بجوار مسجد السنة

- باب الوادي - الجزائر

جوال: ٠٧٧٠٣٠٢٣٥٠ هاتف وفاكس: ٠٩ ٦٢ ٩٦ ٠٢١

info@darelghorabaa.com


دعوة النبيين عليهم السلام
للشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
اعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المُعْتَنِي

الحمدُ لله ذِي الإِفْضَال والإِنْعام، وأشهدُ أَنْ لَا إِله إِلَّا الله وحده لا شريك له الملك العلَّام، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله خير الأنام، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الأئمة الأعلام.

أمَّا بَعْد:

فَبَيْنَ يَديك أَخِي الحَبِيب وُرَيْقَات، أصلها محاضرة لشيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله بعنوان: «دعوة النبيين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

ألقاها في بلدنا الحبيب الجزائر أثناء زيارته الدعوية يوم ١٢

جمادى الأولى ١٤٣٤هـ.

فاسْتَأْذَنْتُ الشيخ في تَفْرِيغِها مَعَ التَّعْلِيق عَلَى بَعْض المَوَاضِع مِنْها[1]، فما كان مِنَ الشيخ إِلَّا المُوَافقة فجزاه الله خير الجزاء.

ولا يخفى عليك أخي الحبيب أهمية هذا الموضوع، وذلك لأنه متعلِّق بركن مِنْ أركان الإيمان وهو الإيمان بالرُّسل، كما أنَّ المتأمّل لسيرهم عليهم السلام يجني الفوائد العديدة، والمزايا المديدة.

قال الإمام عبد الرحمن السعدي:

«وفي ذلك عدَّة فوائد:

(١) وكان ذلك في المسجد النبوي، يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ.

منها: أنَّ مِنْ تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفاتهم وسيرهم وأحوالهم.

وكلَّما كَانَ المؤمن بذلك أعرف، كان أعظم إيمانا بهم، ومحبَّة لهم، وتعظيما لهم، وتعزيرا وتوقيرا.

ومنها: أنَّ مِنْ بعض حقوقهم عَلَيْنا -خُصُوصا النَّبي محمد ﷺ- معرفتهم ومحبتهم محبة صادقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم.

ومنها: أنَّ معرفة الأنبياء موجبة لشكر الله تعالى على ما مَنَّ به على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسُولًا مِنْهُم يزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة، بعد أن كانوا في ضلال مبين.

ومنها: أنَّ الرسل هم المربّون للمؤمنين، الّذين ما نال المؤمنون مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة

من الشر، إلا على أيديهم وبسببهم.

فقبيح بالمؤمن أن يجهل حالة مربِّيه ومزكِّيه ومعلّمه.

وإذا كان من المستنكر جهل الإنسان بحال أبويه ومباعدته لذلك، فكيف بحالة الرسول، الَّذي هو أولى بالمؤمنين مِنْ أنفسهم، وهو أبوهم الحقيقي، الَّذي حقُّه مقدَّم على سائر الحقوق بعد حق الله تعالى؟!!

ومنها: أنَّ في معرفة ما جرى لهم وجرى عليهم، تحصل للمؤمن الأسوة والقدوة، وتخفُّ عنه كثير من المقلقات والمزعجات، لأنَّها مهما بلغت من الثِّقل والشدَّة، فلا تصل إلى بعض ما جرى على الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

ومن أعظم الاقتداء بهم، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفيَّة

إلقاء العلم على حسب مراتب الخلق، والصَّبر على التَّعليم، والدَّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالَّتي هي أحسن، وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء»[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

«فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ عليهم السلام وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللَّهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمْ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ

---

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٣٦).

تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وبمتابعتهم يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا، وَالرّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا»(٣).

جعل الله الأنبياء والمرسلين أئمة الهدى، ومصابيح الدجى يبينون الحق من الباطل، والهدى من الضلال،فمن اتبعهم كان مِنَ السُّعداء، ومَنْ أعرض عَنْ منهجهم كان من الأشقياء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء].

فيقيم الله بهم الحجة، وتتضح بسيرتهم المحجَّة: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ

---

(٣) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٦٩).

بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وفي الختام إنْ كان مِنْ جُهْد يُذْكر في هذه الرِّسالة فَإِنَّما هُوَ مِنَ الشَّيخ أَمَّا الجامع لها، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب والتَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِه إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَامِ المَعْنى، كَمَّا أَنِّي قُمْتُ بالتَّعليق على بعض المواضع مع إضافة بعض الفوائد التي أَرَاهَا نافعة، والله الموفق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أَنْ لَا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله، وصفيُّه وخليله، وصفوته مِنْ خلقه، بلَّغ الرِّسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة وجاهد في الله حق جهاده حتَّى أتاه اليقين، ما ترك خيراً إلا دلَّ الأمَّة عليه ولا شراً إلا حذَّرها منه؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد:

إنَّ موضوعنا جليلُ القدر، عظيمُ الأهمية، يحتاج كلُّ واحدٍ منَّا إلى عظيم العناية به؛ ولاسيما مَنْ كان مُعْتنيًا

بالدَّعوة إلى الله تبارك وتعالى مُشْتغلاً بهذه المهمَّة العظيمة الشَّريفة الرَّفيعة الَّتي هي مهمَّة الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين؛ فموضوعنا هو:

«دَعْوَةُ النَّبِيِّين صَلَوَاتُ اللهُ وَسلَامُهُ عَلَيْهِم».

والنَبِيُّون هم صفوة الخلق وخيرة الله تبارك وتعالى من خلقه، اصطفاهم جلَّ وعلا واجتباهم: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج].

فالله عزَّ وجل اصطفى مِنَ الخلق صفوتهم وخيرتهم وهم أنبياء الله ورسله ليكونوا وسائط بين الله وبين خلقه في إبلاغ دينه وبيان شرعه[٤]، ولهذا فإنَّ الأنبياء عليهم صلوات

(٤) وانظر «مجموع الفتاوى» (١/ ١٢١)، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

الله وسلامه أجمعين هم قدوة البشريَّة وهم الضياء للنَّاس، والرِّسالة هي الرُّوح، وهي النُّور، وهي الحياة الحقيقيَّة، فلا روح ولا حياة ولا نور إذا عُدم ضِياء الرِّسالة ونورها.

والحياة الحقيقيَّة إنما تُنال وتُحصَّل بسلوك سبيل النَّبيِّين عليهم السلام ولزوم نهجهم القويم، فإذا كان العبدُ سالكًا سبيلهم مُلازمًا لنهجهم فهو حيٌ الحياة الحقيقيَّة، وإذا عُدم ذلك فإنَّه في عِدَاد الأموات وإن كان يمشي على قدميه ويأكل الطعام ويشرب الشَّراب ويمشي في الأسواق، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام]،

فإنه بالغ الأهمية.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال]، ولهذا فإنَّ الله سبحانه وتعالى سمَّى الوحي المنزَّل على النَّبيين صلوات الله وسلامه روحـًا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى]، وسُمي الوحي روحـًا لأنَّ الحياة الحقيقيَّة إنَّما تكون به، وسُمِي نوراً لأنَّ الضِّياء الحقيقي والنّور الحقيقي إنما يكون به، فلا حياة ولا نور إلا بمعرفة نهج النبيين وسلوك صراطهم المستقيم.

ولهذا فإنَّ مِنَ الأمور العظيمة الَّتي يجدرُ بالمسلم أن

يُعنى بها وأنْ يهتمَّ بمعرفتها معرفة نهج النَّبيين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومعرفة سيَرهم العظيمة، ومناقبهم الشَّريفة، وخصالهم المنيفة، وأعمالهم الجليلة، وحياتهم المباركة العَطِرة العَامرة بكلِّ خير وفضيلة ورفعة، يعرفُ سيرتهم معرفةَ مَنْ يريدُ الاقتداء والائتساء بنهجهم القويم، ومسلكهم المبارك صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين.

إنَّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بلَّغوا رسالة ربِّهم، فمُهمّتهم البَلَاغ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]، فبلَّغوا رسالة ربهم وافيةً كاملة وأدَّوا ما أمرهم الله سبحانه وتعالى به من بلاغٍ وبيان، وقد قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه كما في «صحيح مسلم» رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ**

حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»(٥)، فهكذا كان شأنهم عليهم صلوات الله وسلامه ما تَرَكوا خيراً إلا دلُّوا أُمَمَهم عليه، ولا شراً إلا حذَّروا أُمَمَهم منه.

والأنبياء هُمْ قُدْوة النَّاس وأُسْوَتهم، ولَا يمكن لعبدٍ أَنْ يقتدي بهم إلَّا إذا عَرَف سَبِيلَهم، وعَرَف نَهْجهم، وعَرَف هَدْيهم ودَرَس سيرتهم صلوات الله وسلامه عليهم، ولِهَذَا تَأْتي القِصَص تِلْوَ القِصَص في كتاب الله تبارك وتعالى لأنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

(٥) رواه مسلم (١٨٤٤).

﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف][٦].

فَقَصَصُ النَّبِيِّين عليهم صلوات الله وسلامه مَلِيئة بِالعِظَات البَالِغات، والدُّرُوس النَّافعات، والعِبَر المُفِيدَات،

---

(٦) قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

«والعبرة في قصص الرسل من وجهين:

الوَجْهُ الأَوَّل: من جهة أخلاقهم وصبرهم ومعاناتهم لأحوال الخلق، وكيف يدعون الناس ويتحملون في الدعوة ما لا يتحمله إِلَّا مَنْ كان مِثْلُهم.

وَالوَجْهُ الثَّانِي: العبرة بما جرى من أقوامهم، وأنهم لم يتقبلوا دعوتهم لأول وهلة؛ بل نابذوهم، وعاندوهم، بل وقاتلوهم...

فالحاصل أن نعتبر من وجهين: من جهة حال الرسل، ومن جهة حال المرسل إليهم» «التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» (ص١٣٧).

الَّتي لَا يَسْتَغْني عنها مُسْلِمٌ بل تَمُسُّ الحاجة إليها وإلى معرفتها والعناية بها.

كمْ هو جميلٌ بالمسلم أَنْ يَكون على صلةٍ يوميّة بِهَدي النَّبِيِّين إيمانـًا بأنَّهم حق، وأنَّهم بُعثوا بالحق والهدى، وأنَّهم قدوة الخلق، وأنَّهم صفوة العباد، وأنَّهم ضِياء العَالَم ونوره، وأنَّ بسلوك سبيلهم تَتَحقَّق الحياة الحقيقيَّة، وإذا تأمَّلنا في هذا المقام وجدنا أنَّ هدي نبيِّنا ﷺ يتضمَّن غَرْس هذا المبدأ والتَّمكين له في نفوس عباد الله المؤمنين؛ انظر على سبيل المثال لا الحصر ما جاء عنه ﷺ مِنْ أذكار تُقَال في الصَّباح، أو في المَسَاء، أو عند النَّوم، أو في قيام اللَّيل، أو نحو ذلك، مِمَّا هو في الحقيقة يمكِّن لهذه العقيدة ولهذا الأصل العظيم المَتِين الَّذي هو الإيمان بالنَّبِيِّين عليهم السلام

ومعرفة هديهم القويم، وصراطهم المستقيم.

مِنْ ذلكم ما ثَبَت في الصَّحيحين عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٧).

أي: مِنْ كُلِّ شرٍّ وسوء(٨).

قال الله تعالى: ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ**

---

(٧) رواه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

(٨) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الصحيح أن معناه كفتاه من شر ما يؤذيه، قيل: كفتاه من قيام الليل، وليس بشيء»«الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص١٣١).

وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة][٩].

ومِنْ أدعية الصَّباح والمَسَاء: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ

(٩) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «تضمَّنت الآيتان إيمان المؤمنين بالله، ودخولهم تحت طاعته وعبوديته واعترافهم بربوبيته، واضطرارهم إلى مغفرته، واعترافهم بالتقصير في حقِّه، وإقرارهم برجوعهم إليه، واستشعارهم لمجازاته إياهم على أعمالهم، ودعائهم إيَّاه سبحانه، وسؤالهم العفو والمغفرة والرحمة والنصر على الأعداء، وهي بلا ريب معان عظيمة تدلُّ على كمال إيمانهم وتمام قبولهم وصدق انقيادهم لله رب العالمين» «فقه الأدعية والأذكار» (٣/ ٥٩).

الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ»(١٠).

وكان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كما ثبت في

---

(١٠) رواه أحمد (٣/ ٤٠٧)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٧٤).

قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «ما أَجْمَلَ أن يَفتَتِحَ المسلمُ يومَه بهذه الكلمات العظيمة، المشتملة على تجديد الإيمان، وإعلان التوحيد، وتأكيدِ الالتزامِ بدين محمد ﷺ، والاتِّباع لِمِلَّة إبراهيم الخليل عليه السلام، الحنيفية السمحة، والبُعدِ عن الشرك كلِّه صغيره وكبيره.

فهي كلماتُ إيمانٍ وتوحيد، وصدقٍ وإخلاص، وخضوعٍ وإذعان، ومتابعةٍ وانقياد، جديرٌ بِمَن يُحافظ عليها أن يتأمَّل في دلالاتها العظيمة ومعانيها الجليلة»« فقه الأدعية والأذكار » (٣/ ٣٢).

«الصَّحيحين» يستهلُّ ويستفتحُ قيامه في صلاة باللَّيل بقوله صلوات الله وسلامه عليه: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ** -وهذا موضع الشاهد - **وَمُحَمَّدٌ** ﷺ **حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[11].

---

(١١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

إلى غير ذلكم مِنَ الدَّعوات العظيمة المأثورة عن النَّبي ﷺ.

بلْ إنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يُقَوِّم أصحابه إذا وقع مِنْ أحد منهم شيء من الخطأ ولو كان يسيراً في الألفاظ المأثورة عنه في هذا الباب، ومن ذلكم حديث البرَّاء رضي الله عنه عندما سمع من النبي ﷺ ما يقال عندما يأوي المسلم إلى فراشه: «**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي**

ولشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله شرح موسع على هذا الحديث في رسالة لطيفة بعنوان: «المقالة المفيدة شرح حديث جامع في العقيدة»، وهي مطبوعة متداولة.

أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، فلمَّا أعادها بين يدي رسول الله ﷺ تثبُّتًا وتأكُّداً وتحقّقًا قال في خاتمتها (وبرسولك الذي أرسلت) قال النبي ﷺ: «**لاَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»[١٢].

هذا وله نظائر كثيرةٌ جدًّا كلّها مِمَّا يُبَيِّن لنا المكانة العظيمة لهذا الأصل المتين الَّذي ينبغي أَنْ يُعْنى به المسلم.

عندما نؤمن بأنَّ النَّبِيِّين صلوات الله وسلامه عليهم

---

(١٢) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأولى ما قيل في الحكمة في ردّه ﷺ على من قال (الرسول) بدل (النبيّ) أنَّ ألفاظ الأذكار توقيفيّة، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فيجب المحافظة على اللّفظ الذي وردت به» «فتح الباري شرح صحيح البخاري » (١١/ ١١٢).

أجمعين حق، وأنَّهم بُعثوا بالحق والهدى، وأنهم بلَّغوا دين الله تبارك وتعالى وافيـًا تامـًا غير منقوص، بلَّغوا الرسالة وأدُّوا الأمانة ونصحُوا الأمَّة وجاهدوا في الله حقَّ جهاده حتَّى أتاهم اليقين، وما تركوا خيراً إلَّا دلُّوا أُمَمَهم عليه، ولا شراً إلَّا حذَّروا أممهم منه، إذا كان ذلكم حاضرا في أذهاننا متمكِّنـًا مِنْ قلوبنا ازددنا عنايةً بمعرفة هديهم وسبيلهم صلوات الله وسلامه عليهم.

ولا يخفى على الجميع أَنَّ الإيمان بالنَّبِيِّين ركنٌ مِنْ أَرْكان الدِّين وأصلٌ مِنْ أصوله العِظام الَّذي يُبنى دين الله تبارك وتعالى عليها، قال الله عز وجل: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة]، وقال الله

سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء]، وتقدمت الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]؛ وهذه الآيات الثلاث المتقدمات جَمَعَت أصول الإيمان الَّتي يُبنى عليها دين الله تبارك وتعالى، وقد جَمَع النَّبي ﷺ هذه الأصول العظيمة في الحديث المشهور بحديث جبريل قال: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١٣].

وهذه الأصول الَّتي منها الإيمان بالنَّبِيِّين لا قيام للدِّين إلَّا عليها فهي للدِّين بمثابة الأصول للأشجار، والأُسُس للبنيان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم].

ولهذا فإنَّ الإخلال بهذه الأصول أو بشيء منها إخلالٌ بالدِّين كلّه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة].

إنَّ الإيمان بالنَّبِيين الَّذي هو أصل من أصول الدِّين

(١٣) رواه مسلم (٨).

العِظَام وأساسٌ مِنْ أسسه المتينة ينبني عليه كل فضيلة وكل رفعة في الدنيا والآخرة؛ ذلكم أنَّ في النَّبيين عليهم صلوات الله وسلامه قَدْ رَفَعَ الله درجاتهم، وأعلى الله مقامهم، ورفع سبحانه وتعالى قدرهم، وجعلهم قدوة للناس، فمن كان مؤتسيًا بهم، مقتديًا بهديهم، سائراً عن نهجهم، فهو من أهل النَّجَاة والفلاح والسَّعادة في الدّنيا والآخرة، وَمَنْ كان بخلاف ذلك فإنَّ حياته كلّها خرابٌ تبابٌ[١٤] ضياع[١٥].

---

(١٤) «التَّبُّ: الخَسَارُ، والتَّبَبُ مُحَرَّكَةً، والتَّبَابُ كسَحَابٍ، والتَّبِيبُ كأَمِير: الهَلاَكُ والخُسْرَانُ» «تاج العروس» مادة: «ت ب ب».

(١٥) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله: «ليست حاجة أهل الأرض إلى الرسل كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من كل ما يقدر ويخطر بالبال؛

ولنتأمَّل آياتٍ كريمات لعلَّها تكون منطلقـًا لنا في الحديث عن هذا الموضوع العظيم دعوة النبيين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وَرَد في «سورة الأنعام» آياتٍ عظيماتٍ مباركات هي أجمع آيات القرآن ذِكْراً لأسماء النَّبيين عليهم صلوات الله وسلامه، والله عز وجل قصَّ علينا خَبَر عددٍ من النَّبيِّين ولم يقص علينا خبر عدد آخر منهم، كما قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر]، وأيضـًا ذَكَر جَلَّ في علاه عدداً مِنَ النبيين بأسمائهم سمَّاهم

فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده، يدعونهم إلى دين الله، ويبلغونهم رسالة الله، ويهدونهم إلى صراطه المستقيم» «فضل النبي ﷺ ووجوب اتباعه».

تبارك وتعالى بأسمائهم، ومنهم من لم يذكر جل وعلا اسمه، ولاشك أن مَن ذكره الله سبحانه وتعالى باسمه وسمَّاه باسمه في القرآن الكريم أشرف وأفضل وأعظم مِمَّن لَمْ يُذكر كمَا نصَّ على ذلكم أهل العلم رحمهم الله تعالى.

وأجمع الآيات ذِكراً لأسماء النَّبِيِّين عليهم صلوات الله أجمعين آيات مباركات في «سورة الأنعام»، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا

فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ إلى آخِر الآيات وفيها يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

هذا السِّياق المبارك ذكر الله سبحانه وتعالى فيه ثمانية عشر نبيـًا بأسمائهم ولهذا قال النَّاظم:

فِــي ﴿تِلْــكَ حُجَّتُنَــا﴾ مِــنْهُمْ ثَمَانِيَــهْ

مِــنْ بَعْــدِ عَشْــرٍ وَيَبْقَــى سَــبْعَةٌ وَهُــمُ

إِدْرِيــسُ هُــودٌ شُــعَيْبٌ صَــالِحٌ وَكَــذَا

ذُو الكِفْــلِ آدَمُ بِالمُخْتَــارِ قَــدْ خُتِمُــوا[١٦]

(١٦) «إعانة الطالبين» لأبي بكر الديمياطي (١/ ١٣).

وذلك أنَّ عَدَد الأنبياء الَّذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عددهم خمسة وعشرون نبيـاً؛ ثمانية عشر منهم ذكرهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المتقدم ذكرها من «سورة الأنعام»، ويبقى سبعة وهم الَّذين مرَّ معنا ذكرهم في البيت ذِكْر أسمائهم عليهم صلوات الله وسلامه وعلى جميع النَّبِيِّين.

وتأمَّل أيّها الأخ الكريم قول الله عز وجل في هذا السِّيَاق المبارك: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٨٧﴾، وقوله جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾؛ فهذا كلُّه مِمَّا يُبَيِّن لك شرف هؤلاء ورفعة درجاتهم عند الله سبحانه وتعالى، وأنَّ الله اجتباهم وهداهم إلى صراط

مستقيم، وأنَّهم قدوة للخلق، وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، أَمَرَه سبحانه وتعالى أنْ يقتدي بهم، والَّذي كان مِنْ نَبِيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام أنه اقتدى بهم كما أمره الله؛ ولهذا فإنَّ العلماء في كتب التفسير أخذوا من هذا الموضع من هذا السياق المبارك أنَّ نبيَّنا عليه الصلاة والسلام أفضل النَّبيِّين على الإطلاق، لأنَّ الفضائل الَّتي تفرَّقت في الأنبياء اجتمعت فيه صلوات الله وسلامه عليه، فالله أمره أن يقتدي بهم أجمعين فكان منه ذلك اقتدى بهم في فضائلهم وخصالهم العظيمة وخلالهم المباركة، فكان صلوات الله وسلامه عليه خيرهم وأفضلهم وسيَّدهم وسيَّد ولد أدم أجمعين، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «**أَنَا**

سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»[١٧].

صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى جميع النَّبِيِّين.

إنَّ الواجب على مَنْ عرف قَدْرَ النَّبِيّين ومكانتهم العليّة ومنزلتهم الرَّفيعة أَنْ يحرص تمام الحِرص على الاقتداء بهم، والسَّير على نهجهم، ولزوم سبيلهم عملاً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، وهذا الموضع يُبَيِّن لنا الفائدة العظيمة مِنْ ذِكر قَصَص الأنبياء، فالله عز وجل إِنَّما ذَكَر قَصَصهم لِيأْتسي النَّاس بهم، وليلْزَموا نهجهم، وليسلُكوا سبيلهم: ﴿مَا كَانَ

(١٧) رواه أحمد (١٧/ ١٠)، والترمذي (٣١٤٨)، وأبو داود (٤٦٧٣)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٣٠٨).

حَدِيثًا ﴾ [يوسف].

أحاديث الأنبياء وسيَرهم ما كانت تُذكر وتُبيَّن في كتاب الله تبارك وتعالى إِلَّا مِنْ أجل أَنْ تُعرف تلك المقامات الشَّريفة والمناقب العظيمة ليقتدي النَّاس بهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

والأنبياء إنَّما بُعثوا لغايةٍ شريفة، ومهمَّةٍ عظيمة، وهي دعوة النَّاس إلى دين الله وإخراجهم مِنَ الظُّلمات إلى النُّور ودعوتهم إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين له تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، وقال الله تبارك وتعالى:

﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف]، والنُّذُر: هم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

فجميع النَّبيين بُعثوا لهذه المهمَّة العظيمة والوظيفة الشريفة: **دعوة الناس إلى دين الله ودعوتهم إلى توحيده**، ولهذا مَا مِنْ نَبِيّ يبعثه الله إلَّا ويكون أوّل ما يُخَاطِبُ به قومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩][١٨]، فالتَّوحيد هو زبدة دعوة النَّبيين

---

(١٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وخُلَاصة رِسَالتهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين[١٩].

وتَرْتَكِزُ دعوة النَّبيين عليهم صلوات الله وسلامه على محاور ثلاثة تدور عليها دعواتهم أجمعين:

«أَكْثَرَ الرُّسُلِ افْتَتَحُوا دَعْوَتَهُمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ.

وَقَوْمُهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالْخَالِقِ لَكِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ» «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٣٢).

(١٩) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ:

«وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ، وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُبْدَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا» «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢٠).

الأَوَّلُ: تعريف الناس بربهم وأنَّه سبحانه وتعالى المعبود بحق ولا معبود بحق سواه؛ يُعَرِّفون به، بالتَّعريف بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وأفعاله سبحانه وتعالى العظيمة وتدبيره لهذا الكون وشمول قدرته سبحانه وتعالى، ونفوذ مشيئته وعموم ربوبيته وسعة علمه، إلى غير ذلكم من أوصافه جل وعلا العظيمة[٢٠].

الثَّانِي: تعريف الناس بالطريق الموصل إلى الله تبارك

---

(٢٠) قال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: «المقصود من دعوة الرسل تخصيص الله بالعبادة، وإفراده بها، لا يدعى إلا هو جل وعلا، ولا يستغاث إلا به، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يصلى إلا له، إلى غير ذلك من العبادات، فهو المستحق لها جل وعلا دون كل ما سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها لا معبود حق إلا الله» «مجموع فتاويه» (٢/ ٤٣).

وتعالى؛ وذلك ببيان دين الله، وتعريف النَّاس بالحلال والحرام والأحكام والأوامر والنَّواهي، ونحو ذلك من الأمور الموصلة إلى الله تبارك وتعالى.

الثَّالِثُ: تعريف الناس بما أعدَّ الله سبحانه وتعالى لهم يوم لقائه في الدار الآخرة، وأنَّ الله عز وجل أعدَّ للمتقين جنات النَّعيم، وأنَّه أعدَّ تبارك وتعالى للكافرين العذاب الأليم.

فالأنبياء كلهم مِنْ أوَّلهم إلى آخرهم تَدُور دعوتهم على هذه المحاور الثلاثة وترتكز عليها، وهذه المحاور هي خلاصة الدِّين وأساسه الذي عليه يُبنى وهي تَجْمَعُ الخير كلّه، فأنبياء الله ورسله قائمة دعوتهم على ذلك.

ولهذا ينبغي أَنْ يُعلم أَنَّ الأنبياء دعوتهم وأصولهم

واحدة، وإن كان ثمَّة شيء مِنَ الفرق بين نبيّ وآخر في تفاصيل الشرائع وتفاصيل الأحكام، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ﴾ [المائدة]، فالأحكام قد تختلف مِنْ نبيّ إلى آخر، أمَّا العقائد والأصول والمرتكزات لدى جميع النّبيين فإنَّها واحدة لا خلاف بين نبي وآخر في شيء من ذلك، ولهذا قال نبيُّنا ﷺ كما في الحديث الصحيح: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[٢١].

(٢١) رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: «والعلات بفتح المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى» «فتح الباري شرح صحيح البخاري »(٦/ ٤٨٩).

«**أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى**»: أي الشرائع مختلفة.

«**وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»: أي أصولهم وعقائدهم واحدة.

كما هو الشأن في أبناء العلَّات، والعلَّات: هنَّ الضَّرائر الزوجة على الزوجة، أبناء العلَّات أبوهم واحد وأمَّهاتهم مختلفات.

فالأنبياء أبناء علَّات: دينهم واحد أي أصولهم واحدة، وأمَّا الشَّرائع فقد تختلف من نبيّ إلى آخر.

إذاً الأنبياء جميعا بُعثوا لغاية عظيمة ومهمّةٍ شريفةٍ جليلة وهي دعوة الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى وإخراجهم من الظلمات إلى النور وبيان الصِّراط المستقيم الَّذي به نجاةُ العباد وسعادتهم وفلاحهم وفوزهم في الدُّنيا والآخرة، فالأنبياء جميعا تدور دعوتهم على ذلك، ولهذا

كان من المتأكَّد على كل مسلم ولاسيما مَنْ يشتغلُ بالدَّعوة إلى الله تبارك وتعالى أَنْ يعرف هذا المقام العظيم ليلزم نهج النبيين، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في «سورة يوسف»: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف].

فقوله سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: أي السَّبيل الَّتي كان عليها جميع النَّبيين هي سبيل نبيِّنا محمد ﷺ وهي سبيل أتباعه من بعده، سبيل واحدة، دعوة إلى الله أي: دعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين له سبحانه وتعالى.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على علم ومعرفة بالنهج القويم والمسلك المستقيم الَّذي كان عليه أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

وإذا كان مطلوبٌ مِنَ الدَّاعية إلى الله سبحانه وتعالى أَنْ يعرف الغاية التي بُعث الأنبياء لأجلها والمرتكزات التي تدور عليها دعوة النبيين فإنَّه في الوقت نفسه مطلوبٌ من الداعي إلى الله سبحانه وتعالى أَنْ يَعْرِفَ السُّبل الَّتي كان عليها الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل مِنْ حلمٍ وصبرٍ وحكمةٍ ورفقٍ وأناةٍ وجهدٍ عظيم لنصرة دين الله تبارك وتعالى، وأيضـًا حجةٍ واضحة وبيّنة ونورٍ وبصيرةٍ مِنَ الله تبارك وتعالى إلى غير ذلك مِنَ الأوصاف الَّتِي تحلَّى بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والكلام على هذه الجملة يطول جداً، لأنَّ قصص الأنبياء الَّتي في القرآن الكريم تشتمل على هذه المعاني العظيمة في ذكر صبر الأنبياء، أو حكمتهم، أو رفقهم، أو

جهودهم العظيمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلكم من أوصاف الأنبياء العظيمة الدَّالة على كمالهم وإمامتهم وكونهم قدوة للخلائق في أبواب الخير ومجالات النَّفع والانتفاع والدَّعوة إلى دين الله تبارك وتعالى.

لكن أشيرُ في هذا الباب إلى إشارات يسيرة مِنْ خِلَال قصص بعض الأنبياء ممَّا يتهيأ لنا في مثل هذا المقام، ونسأل الله عز وجل المعونة لنا أجمعين والتوفيق والتسديد لما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال.

لكنَّ هذه إشارة إلى الاهتمام ومزيد العناية بقصص الأنبياء، وتعلم أخي في الله أن عدداً من أهل العلم أفردوا قصص الأنبياء أو ضمَّنوها في كتبهم الكبار، لكن من أحسن ما في هذا الباب كتاب «البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» للإمام ابن

كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما ذكره من قصص الأنبياء، وأيضـًا الخلاصة النفيسة المتينة التي في رأيي لا يستغني عنها طالب علم والتي كتبها الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تَيْسِيرُ اللَّطِيفِ المَنَّان فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ القُرْآن» وأُفردت في رسالة مستقلة بعنوان «قَصَصُ الأَنْبِيَاء»؛ فإنَّ هذا الَّذي كتبه الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه جهد عظيم ولاسيما في باب استخلاص الفوائد والعبر المستفادة من قصص الأنبياء، وإِلَّا فإنَّ قصص الأنبياء والدروس والفوائد والعبر المستفادة من قصصهم كثيرة جدا.

خُذْ على سبيل المثال قصَّة يوسف عليه صلوات الله وسلامه جاءت في سورة كاملة في القرآن الكريم اشتملت

على فوائد عظيمة[٢٢].

---

(٢٢) فائدة:

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «اختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص؟

فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة؛ وبيانه قوله في آخرها: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿ قَالَ   تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة»[٢٣].

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تفسيره الذي جمع ضمن ذلك فوائد مستنبطة من «سورة يوسف»

والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما.

وقيل: "أحسن" هنا بمعنى أعجب. وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز؛ قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير» «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٢٠).

(٢٣) «الجواب الكافي» (ص١٤٩).

عدَّدها فائدة تلو الأخرى فبلغت الفوائد التي عددها رحمه الله تعالى من قصة يوسف ما يقرب من الخمسمائة فائدة(٢٤).

فقصص الأنبياء مليئة بالفوائد والعبر والعظات ممَّا يتطلَّبُ مِنْ طالب العلم أَنْ يَقِفَ على تلك القصص وأَنْ يَنْهَل من ذلك المَعِين المُبَارك.

وللمبتدئ في هذا المقام أَنْ يقرأ أوَّلاً ما أشرتُ إليه وَهُوَ كتاب الإمام ابن سعدي رحمه الله «تيسير اللَّطيف المنَّان في خُلَاصة تفسير القرآن» فإنَّه ضمَّنه فصلاً أشرتُ إلى أنه طُبع مفرداً عن قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

---

(٢٤) انظر «مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (١٠٦/٢).

أجمعين.

فقصَّة يوسف عليه السلام، وهي قصَّة طويلة عظيمة مباركة مليئة بالعبر ومليئة بالعظات، لكن وقفة مختصرة عندما دخل عليه صلوات الله وسلامه السِّجن قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ

ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ [يوسف].

انظر هذه المدرسة العظيمة في الدَّعوة، انظر هذا النَّهج المبارك في بيان دين الله، انظر هذا الأسلوب المتين في النُّصح والتَّعليم والتَّوجيه، انظر أيضـًا استغلال الوقت والفرصة المُنَاسبة لغرس الاعتقاد وبيان دين الله تبارك وتعالى، انظر أيضا جمال المدخل الَّذي يمهِّدُ للدَّعوة

ويكون سببًا لقبولها، انظر إلى تلك الأخلاق الرَّفِيعة والمعاملة العالية الَّتي استمالت نُفُوس النَّاس إليه وجعلتهم يطمئنون لكلامه ويستمعون لقوله ويعملون بنصحه صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا انظر إلى قول هَذين الرَّجُلين الَّذَيْن دخلا معه السِّجن: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾؛ رأوا فيه معاملة كلّها إحسان ولطف ورفق ومعاملة جميلة وأخلاق طيبة جعلتهم يطمئنون إلى كلامه ويحرصون على عرض ما حصل لهما من رؤية عليه ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

ثم أخذ يمكِّن للدَّعوة ويمهِّدُ لها: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾، ما السبب؟

قال: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

بعد هذه التوطئة والتمهيد والتقدمة وتهيئة النفوس دخل في الدعوة بقوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ إلى آخر السياق.

وهكذا عندما تتأمل في دعوات الأنبياء صلوات الله

وسلامه عليهم وفي قصصهم والعبر العظيمة المستخلصة من قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ترى فيها مثل هذه المعاني من الحكمة والرفق والأناة والحلم والصبر ونحو ذلكم من الأوصاف العظيمة، إضافةً إلى الأساس الأعظم وهو اللجوء إلى الله والاستعانة به وحُسن التوكل عليه وتمام الالتجاء إليه والضراعة بين يديه وطلب التوفيق منه سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود]؛ فكل هذه المعاني يجدها المسلم جليةً واضحة بين يديه وهو يقرأ في قصص الأنبياء.

ولهذا أقترح على الإخوة الكرام كلٌ في وسعه وقدر طاقته أن يضع له منهجاً في التَّرَبِّي على دروس الأنبياء وخِصَالهم العظيمة، وهو يقرأ قصص الأنبياء في القرآن

ويستعينُ بكُتُب التَّفسير ويستعين أيضـًا في الوقت نفسه بكتب التاريخ المعنية في هذا الباب ولاسيما ما كان منها محققـًا مدققـًا لأئمة السلف رحمهم الله تعالى؛ فيقرأ ويستخلص من قصص الأنبياء الدروس، مثلاً في الصبر وفي الرفق وفي الحلم وفي الدعوة وفي طريقة الدعوة إلى الله بالتوكل على الله، الدعاء والضراعة إلى الله سبحانه وتعالى إلى غير ذلكم من الأمور التي يفيدها، ويستفيدها في دعوته إلى الله سبحانه وتعالى، ويكون تحصيله وإفادته في الدرجة الأولى في هذا الباب من سيرة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام والذي اجتمع فيه ما تفرق من الفضائل والمناقب في جميع النَّبِيِّين كما تقدَّمت الإشارة إلى هذا المعنى

العظيم[٢٥].

وفي الختام:

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا أجمعين رشد أنفسنا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهدينا إليه صراطـًا مستقيما، وأن يوفقنا أجمعين لكل خير إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والله تعالى أعلم.

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(٢٥) انظر مقدمة كتاب «شرح شمائل النبي ﷺ»، لشيخنا عبد الرزاق ابن عبد المحسن البدر حفظه الله فإنها نافعة ماتعة.

وكذا شرحه حفظه الله على «الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية» للإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله.


دار الفرقان للنشر والتوزيع
20، شارع أحمد حسينة باب الوادي الجزائر العاصمة
جوال: 557 64 85 55 / 556 96 58 10 (00213)
البريد الالكتروني : Dar.alfurquan@gmail.com
دار الفرقان
للنشر والتوزيع